

— ١٣٩ —

الأصدقاء ، قدمت الخدمات بلا حساب ، وظل حديث الجريمة يجرى على كل لسان ، فى البيت والمقهى والسوق والتاكسى ، يتردد بغيظ وحنق ، وأحيانا بسخرية ، ولكنه لا يشق حجاب الغموض أبدا ، ثمّة شىء فى الأعماق يعوزه التعبير ، يكتبه أنه فى اللاوعى ، أو الخوف أو الخجل أو الرغبة المحمومة فى الهرب . ولاحظت ذات يوم — وأنا فى السوق — أن امرأة فقيرة دمعت عيناها وهى تصغى إلى حديث الجريمة الذى لا ينقطع . جذب وجهها عيني بفقره وجماله الذابل المتوارى وراء غلاف من الإهمال والتعاسة . ترى هل تبكى بدافع عاطفة إنسانية عامة أو لأسباب أشد خصوصية ؟ . وقررت فى الحال تعقبها من بعيد لعل وعسى . ولما وصلت إلى آخر منطقة فى السوق اعترضنى صوت قائلا :

— ها أنت تهيم على وجهك مهملًا عملك !

التفت فرأيت الضابط واقفا يرمقنى بنظراته الباردة ، فقلت :

— جئت أتسوق .

— وأين التاكسى ؟

— فى الميدان الجديد .

ومضى إلى سبيله تاركا إياى فى حيرة . فتشت بعيني عن المرأة ولكنها كانت قد ذابت فى الزحام . ورجح لدى أننى أواجه تديرا محكما لاصدفة عمياء ، وأن على أن أضاعف من الخذر .

وتفرغت لعملى كسواق تاكسى أياما متتابة ، وكلفت خاطبة أن تبحث لى عن عروس مناسبة ، ثم تسللت ذات ليلة ، عند منتصف الليل ، إلى الحانة الموجودة عند مشارف السوق . وجدها مكتظة بالشاربين ، تضحج بالنكات والأغانى ، حارة بالأنفاس والدخان والهواء